أَحْلَى وأَلَذُّ نَوْمَةٍ نَوْمَةُ الْعَرُوسِ

وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ نَوْمَةِ المؤمنِ في قَبْرِهِ وبَيْنَ نَومَةِ العَرُوسِ

دراسة حديثية تحليلية

أ. د. فهمي أحمد عبدالرحمن القزاز

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أَحْلَى وأَلَذُّ نَوْمَةٍ نَوْمَةُ الْعَــرُوسِ

وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ نَوْمَةِ المؤمنِ في قَبْرِهِ وبَيْنَ نَوْمَةِ العَرُوسِ

دراسة حديثية تحليلية

أ. د. فهمي أحمد عبدالرحمن القزاز

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاه، وبَعْدُ:

فالسُّنَّةُ النَّبَوِيّةُ كما وصفها إمامُ دار الهجرة مالكُ بنُ أنس رحمه الله: سفينةُ نوحٍ، من ركبَها نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، هكذا قَالَ ابْنُ وَهْبٍ، كَانَ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَذُكِرَتِ السُّنَّةُ فَقَالَ مَالك: (السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) (١).

والذي يعيش معها-أي: السُّنَّة -ينال من حكمتها ويؤتاها، فلقد سمَّاها ربُّنا في محكم التنزيل حكمة.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ولقد أخبرنا المعصومُ سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم فيما ارتضاه ربُّه، وأطلعه من علم الغيب عن مصير الإنسان بعد موته، وما سيتعرض له من فتنة واختبارٍ في القبر وسؤال المَلَكَيْنِ.

وفتْنَة الْقَبْر وسؤال الْمَلَكَيْنِ قد تَوَاتَرَتْ فيهما الْأَحَادِيث الصَّحِيحة(٢) من رِوَايَة أنس، والبراء، وَتَمِيم الدَّارِيّ، وَبشير بن الْمُعَاوِيّ، وثوبان، وَجَابِر بن عبدالله، وعبدالله بن رَوَاحَة، وَعبَادَة بن الصَّامِت، وَحُذَيْفَة، وضمرة بن حبيب، وابن عَبَّاس، وابن عمر، وابن مَسْعُود، وَعُثْمَان بن عَفَّان، وَعمر بن الْخطاب، وَعَمْرو بن الْعَاصِ، ومعاذ بن جبل، وَأبي أُمَامَة، وَأبي الدَّرْدَاء، وَأبي رَافِع، وَأبي سعيد الْخُدْرِيّ، وَأبي قَتَادَة، وَأبي هُرَيْرَة، وَأبي مُوسَى، وَأَسْمَاء، وَعَائِشَة رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ(٣)، بوقائع ومناسبات مختلفة؛ من أجل هذا علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته أنْ يستعيذوا منها- أي: فتنة القبر-؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ قُولُوا: «اللهُمَّ

---

(١) ذم الكلام وأهله؛ لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ): (٥/ ٨٠) (٨٧٢).

(٢) قلت: أراد هنا المتواتر المعنوي لا اللفظي كما لا يخفى.

(٣) ينظر: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ١٢١).

إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

وقَالَ الإمامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بعد ذكره: "بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لابْنِه: أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلَاتِكَ؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ: أَعِدْ صَلَاتَكَ، لِأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، أَوْ كَمَا قَالَ"(٤).

والأسئلة التي سَنُفْتَتَنُ بها هي: "... مَنْ رَبُّكَ؟ ما دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا عِلْمُكَ؟" (٥).

وفي لفظ: "مَا يُدْرِيكَ؟"(٦).

وفي رواية: "مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟...مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا"(٧).

وهذا آخر امتحان في الدنيا يتعرَّضُ له المؤمن؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] (٨).

والذي ينجح في الامتحان في قبره يودُّ لو يَرْجِعُ إلى أهله فيبشرهم بهذه النتيجة المبهرة "... فَيَقُولُ: "دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي..."(٩).

وفي لفظ: "... فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ..." (١٠).

وفي رواية يريد قيام السَّاعة لذلك: "رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي" (١١).

فيكون حاله كحال الذي يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة كما أخبرنا ربُّنا عن ذلك في محكم كتابه فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ

---

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤١٣) (٥٩٠).

(٥) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤).

(٦) إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص: ٥١).

(٧) صحيح مسلم (١/ ٤١٣) (٥٩٠).

(٨) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤).

(٩) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٨) (٤٧٥١).

(١٠) سنن الترمذي، ت بشار (٢/ ٣٧٤) (١٠٧١).

(١١) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤).

مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

ونلاحظ هنا أنَّ الملائكةَ تقولُ له عبارة لها معناها ومغزاها سِيْقَت من أجلها، فتقول له: "اسْكُنْ"، وورد هذا من مسند أنس (١٢)، وكذا من مسند أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (١٣)، وجابر بن عبدالله (١٤)، والبراء بن عازب (١٥) فقال كما أخرج الترمذي وغيره: "... ما دينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فَيُقَالُ لَهُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتَ وَاللهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللهَ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ" (١٦).

فحينما يُقالُ له: "اسْكُنْ" وليس: اسْكُت، أو اصْمت أو غيرها من الكلمات، وذلك لأنه بعد نجاحه في الامتحان أصبح في موضع تكريمٍ وحفاوة، فناسب هذه الكلمة دون غيرها، ولأنَّ كلمة "اسْكُنْ" فيها معانٍ مفعمة بالحنان والمحبة، فيا مَنْ أنت بهذا الشوق للجنة ونعيمها، وفرح بلقاء ربه "اسْكُنْ"، وهذه نفس الكلمة التي قالها المصطفى لجِذْعٍ حنَّ لفراقه، فواساه بها، فقال له: "اسْكُنْ"؛ فعَنِ ابْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي إِلَى جِذْعٍ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا، وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى جَنْبِ ذَلِكَ الْجِذْعِ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حَتَّى تَرَى النَّاسَ، أَوْ

---

(١٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٨) (٤٧٥١).

(١٣) مسند أحمد، ط الرسالة (١٧/ ٣٢) (١١٠٠٠).

(١٤) مسند أحمد، ط الرسالة (٢٢/ ٤١٥) (١٤٥٤٧).

(١٥) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤).

(١٦) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤).

قَالَ: حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ، وَحَتَّى يَسْمَعَ النَّاسُ خُطْبَتَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَصَنَعُوا لَهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَمَا كَانَ يَقُومُ، فَصَغَى الْجِذْعُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: "اسْكُنْ" ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "هَذَا الْجِذْعُ حَنَّ إِلَيَّ"، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "اسْكُنْ، إِنْ تَشَأْ غَرَسْتُكَ فِي الْجَنَّةِ، فيأْكُلُ مِنْكَ الصَّالِحُونَ، وَإِنْ تَشَأْ أُعِيدُكَ كَمَا كُنْتَ رَطْبًا" فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دُفِعَ إِلَى أُبَيٍّ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى أَكَلَتْهُ الْأَرَضَةُ"(١٧).

والجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ من معاني السكون في القرآن الكريم هو الاستقرار بسلام وطمأنينة، فكما أنَّ كلمة: "اسْكُنْ"- التي جاءت في الحديث- التي تبعث في النفس الطمأنينة والسكينة والراحة جاءت عند قوله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فإن آدم عليه السلام استوحش في بداية أمره فسكن بملاقاة أُمنا حواء، ومن السكون الذي ذكر في القرآن الكريم ما يعيشه الشاب حين يشبُّ وعند ثوران شهوته وتشتت فكره يحتاج إلى سكون وراحة بال فقد ظهر جليًّا عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] جاء معنى السكون وكأنه هاج كالبحر فسكن بعدها(١٨)، وهذا المعنى وما يقاربه هو ما توصلنا إليه من وجه الشبه بين نومة المؤمن في قبره وبين نومة العروس على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ويقال له في لفظ آخر: "نَمْ صَالِحًا" وهذا ورد من مسند عائشة (١٩). أي: نَمْ صالحَ النَّفس، وهو كناية عن الراحة في النوم، والله أعلم بالصواب.

قَالَ الْبَاجِيُّ: (أَرَادَ بِالنَّوْمِ الْعَوْدَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، سَمَّاهُ نَوْمًا لِمَا صَحِبَهُ مِنَ الرَّاحَةِ وَصَلَاحِ الْحَالِ) (٢٠).

---

(١٧) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٥/ ١٧٩) (٢١٢٦٠)، وهو من زيادات عبدالله ابن الإمام أحمد على المسند.

(١٨) هذه الفائدة لأحد طلبتي أضافها عند تعليقه على النشر الأول للبحث، فأحببت أن أزين بها البحث، فجزاه الله خير الجزاء.

(١٩) صحيح البخاري (١/ ٢٨) (٨٦).

(٢٠) شرح الزرقاني على الموطأ (١/ ٦٤٤).

وفي رواية الأكثر: "ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ..."؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عبدالله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ..." (٢١).

وفي رواية ابن حبان: "فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ" (٢٢).

وهذه النومة وُصفت بأنها: "أَحْلَى نَوْمَةٍ"، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي: "..... فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ، فَيَكُونُ فِي أَحْلَى نَوْمَةٍ نَامَهَا أَحَدٌ حَتَّى يُبْعَثَ..." (٢٣).

ووصفت بأنها: "أَلَذّ نَوْمَةٍ"؛ فأخرج الروياني عن بعض الأصحاب رضي الله عنهم أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ لَهُ: «نَمْ، فَيَنَامُ أَلَذَّ نَوْمَةٍ نَامَهَا نَائِمٌ قَطُّ حَتَّى تُوقِظَهُ السَّاعَةُ» (٢٤).

بيان معاني الألفاظ وغريبها:

---

(٢١) سنن الترمذي، ت بشار (٢/ ٣٧٤) (١٠٧١) وقال الترمذي: وَفِي الباب عَنْ عَلِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَالبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي عَذَابِ القَبْرِ. وقال: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢٢) صحيح ابن حبان -محققًا (٧/ ٣٨٦)، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ اسْمِ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْأَلَانِ النَّاسَ فِي قُبُورِهِمْ ثَبَّتَنَا اللَّهُ بِتَفَضُّلِهِ لِسُؤَالِهِمَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، (٣١١٧)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٥٦) (١٢٠٦٢)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤١٦) (٨٦٤).

(٢٣) ذكرها ابن حجر وعزاها لسنن سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، وكذا فعل الزرقاني؛ ينظر فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٣٨)، وشرح الزرقاني على الموطأ (١/ ٦٤٤)، قُلْتُ: رجعت للمطبوع فلم أعثر عليه، ولعله في المفقود منه، والله أعلم بالصواب.

(٢٤) مسند الروياني (١/ ٢٦٣) (٣٩٢).

قَوْلُهُ: (نَمْ): مُتَضَمِّنٌ لِلْجَوَابِ- أي: جواب أرجع إلى أهلي ومالي-وَمُغْنٍ عَنِ الْإِطْنَابِ-أي: الإطالة-(٢٥). فقولهم له: "نَمْ" أغنى عن كل ذلك.

وقوله: "الْعَرُوسُ": نَعْتٌ يَسْتَوِي فِيهِ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ مَا داما فِي إعراسهما، يقال: رجل عروس، وامرأة عروس، وهو يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى فِي أَوَّلِ اجْتِمَاعِهِمَا، يُقَالُ: رجل عروس وَامْرَأَة عروس، وجمع الرجل: عُرُس، وجمع الْمَرْأَة: عرائس، وَقَدْ يُقَالُ لِلذَّكَرِ الْعَرِيسُ (٢٦).

قَالَ صَاحب الْعين: (والعَروس: نعتٌ للرجل والمرأة، استويا فيه ما داما في تعريسهما إذا عَرَّس أحدهما بالآخر. وأحسن ذلك أن يقال للرجل: مُعْرِسٌ؛ لأنَّه أَعْرَسَ؛ أي: اتخذ عِرْسًا) (٢٧).

وَقَالَ ابْن الْأَثِير: (أَعْرَسَ الرجلُ فَهُوَ مُعْرِس إِذَا دَخَلَ بامْرَأته عِنْدَ بِنائِها، وأرادَ بِهِ هَا هُنَا الوَطْءَ، فسمَّاه إِعْرَاسًا؛ لأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ الإِعْرَاس، وَلَا يُقَالُ فِيهِ عَرَّسَ) (٢٨).

وقال العيني: (وَقَول الْعَامَّة: الْعَرُوس للْمَرْأَة، والعريس للرجل لَيْسَ لَهُ أصل) (٢٩).

وقيل: والمراد بالعروس ها هنا: الرجل؛ لأنه قال: (الذي لا يُوقِظُه)؛ ولم يقل: التي لا يُوقِظُها (٣٠).

قُلْتُ: وهذا بعيد؛ لأن النص ذكر المؤمن "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ" ولم يقل: "المؤمنة" والمؤمن هنا يشمل الذكر والأنثى وهو معروف في اللغة ولمن يتابع النصوص المستكثرة في الكتاب والسُّنَّة، فيستعاض عن التأنيث بالتذكير، فناسب قوله هنا "يوقظه" ولم يقل: "يوقظها"، فلا يعد الضمير هنا دليلًا على تخصيص ذلك بالرجل دون المرأة، والله أعلم بالصواب.

---

(٢٥) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١).

(٢٦) ينظر: شرح المشكاة للطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٥٩٤)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٨٦)، شرح المصابيح لابن الملك (١/ ١٣٨)، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٣٠)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١)، تحفة الأحوذي (٤/ ١٥٦)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٨٦).

(٢٧) ينظر: العين (١/ ٣٢٨).

(٢٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٦).

(٢٩) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٨٦).

(٣٠) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٢٧).

والأليق أن يقال في: "العروس" هنا: الأنثى لا الذكر، لأنه وصف عام وهو في غير حالة الدخول -الزواج- وهذا ما التفت إليه العيني رحمه الله فقال: (والعروس نعت يَسْتَوِي فِيهِ الرجل وَالْمَرْأَة مَا دَامَا فِي إعراسهما، وَيُقَال: اسم لَهما عِنْد دُخُول أَحدهمَا بِالْآخرِ، وَفِي غير هَذِه الْحَالة الرجل يُسمى عريسًا وَالْمَرْأَة عروسًا) (٣١).

وهذا الذي نتكلم عليه هنا، فالنَّصُّ ورد هنا في (القبر)، فهو في غير حالة دخول الرجل بالمرأة، فهو خاص بوصف المرأة لا الرجل، وهو ما سنبيِّنُه في حديثنا عن وجه الشبه بين نومة المؤمن في قبره والعروس إن شاء الله تعالى.

وقوله: "الذي": موصول، وما بعده صلته، والموصول والصلة صفة للعروس.

وقوله: "لا يُوقظُه"، أَيقَظَ يُوقِظُ: إذا نبَّه أحدًا من النوم (٣٢).

وقوله: "إلا أحبُّ أهله إليه"، والأهل هنا: قيل: هو الزوج (٣٣).

وقَالَ الْمُظْهِرُ: عِبَارَةٌ عَنْ عِزَّتِه وَتَعْظِيمِه عِنْدَ أَهْلِه يَأْتِيه غَدَاةَ لَيْلَةِ زِفَافِه مَنْ هُوَ أَحَبُّ وَأَعْطَفُ فَيُوقِظُهُ عَلَى الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ (٣٤). وعلى هذا يكون المعنى: أي الذي يوقظه هو أهله من أبيه وأمِّه وأحبابه من عائلته أو عائلتها.

فالأهل هنا يُرادُ بهم: الزَّوج أو أهل الزوج، وأنا أميل إلى أن الذي يوقظها من نومها هو زوجها فهو بعد الزواج والدخول بها، وقد أفضى إليها وأفضت إليه، وذاق عسيلتها وذاقت عُسَيْلَتَهُ (٣٥)؛ فالزوج بمثابة أحبّ أهلها إليها، فهو أقرب إليها منهم، فهو من يوقظها من نومها، والإيقاظ هنا يراد به إيقاظ محبةٍ وعاطفةٍ وحنانٍ، والله أعلم بالصواب.

---

(٣١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/ ١٨٣).

(٣٢) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٢٧)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١)، تحفة الأحوذي (٤/ ١٥٦)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٦).

(٣٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٦).

(٣٤) ينظر شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٥٩٤)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١).

(٣٥) قُلْتُ: وأصله قوله صلى الله عليه وسلم لامْرَأَةِ رِفاعَة القُرَظِيّ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»، ينظر: صحيح البخاري (٣/ ١٦٨) (٢٦٣٩)، صحيح مسلم (٢/ ١٠٥٥) (١٤٣٣). والعُسيلة: بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ السِّينِ تَصْغِيرُ عَسَلَةٍ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ، شَبَّهَ لَذَّتَهُ بِلَذَّةِ الْعَسَلِ وَحَلَاوَتِهِ. قَالُوا وَأَنَّثَ الْعُسَيْلَةَ؛

وقوله: "حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِه": هَذَا لَيْسَ مِنْ مَقُولِ الْمَلَكَيْنِ، بَلْ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِعْلَامًا لِأُمَّتِه بِأَنَّ هَذَا النَّعِيمَ يَدُومُ لَهُ مَا دَامَ فِي قَبْرِه.

وقوله: "حَتَّى": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ: يَنَامُ طَيِّبَ الْعَيْشِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ.

وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَتَعَلَّقَ: "حَتَّى" "بِنَمْ" عَلَى سَبِيلِ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ إِشَارَةً إِلَى غَيْبَتِهِ عَنْهُمَا بِانْصِرَافِهِ عَنْهُمَا. وقيل: متعلق بمحذوف، أي: ينام هكذا إلى يوم البعث.

وقوله: "مِنْ مَضْجَعِه":

قال ابن فارس:(ضَجَعَ) الضَّادُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى لُصُوقٍ بِالْأَرْضِ عَلَى جَنْبٍ (٣٦).

وقال ابن الأثير: (الضَّجْعَة) بِالْكَسْرِ: مِنَ الاضْطِجَاعِ، وَهُوَ النَّوم (٣٧).

و(مَضْجَعِه): بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْجِيمِ مَوْضِعُ الضَّجْعِ وَهُوَ النَّوْمُ. من ضَجَعَ -بفتح العين في الماضي والغابر -: إذا نام (٣٨).

وأقول سبحان الله هذا تصوير عجيب ودقيق، فالميت يوضع على جنب تجاه القبلة، فهو يبقى على حاله لحين بعثه، ويستفاد منه قصر المدة الزمنية وهو تشبيه للقبر بأنه مكان لنوم المؤمن صالح النفس، وسيبعثه الله من هذا المضجع وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

أمّا وجه الشبه بين نومة المؤمن في قبره ونومة العروس، فقال العلماء:

١- وَإِنَّمَا شُبِّهَ نَوْمُهُ بِنَوْمَةِ الْعَرُوسِ، لِأَنَّهُ-أي المؤمن في قبره-يَكُونُ فِي طَيِّبِ الْعَيْشِ.

لِأَنَّ فِي العسل نَعْتَيْنِ: التَّذْكِيرَ وَالتَّأْنِيثَ، وَذَاقَ الرَّجُلُ عُسَيْلَةَ الْمَرْأَةِ وَذَاقَتْ عُسَيْلَتَهُ إِذَا حَصَلَ لَهُمَا حَلَاوَةُ الْخِلَاطِ وَلَذَّةُ الْمُبَاشَرَةِ بِالْإِيلَاجِ. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٠/ ٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢١١)، وقال محمد فؤاد عبدالباقي: وهذه استعارة لطيفة شبهت لذة المجامعة بحلاوة العسل، أو سمي الجماع عسلًا، لأن العرب تسمي كل ما تستحليه عسلًا، وفي الأساس: ومن المستعار العسيلتان في الحديث للعضوين، لكونهما مظنتي الالتذاذ، ينظر تعليقه على صحيح مسلم (٢/ ١٠٥٥).

(٣٦) مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٠).

(٣٧) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٤).

(٣٨) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١-٢٢٦)، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٣٠)، تحفة الأحوذي (٤/ ١٥٦)، المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٢٨)، شرح المصابيح لابن الملك (١/ ١٣٨).

٢- وَقِيلَ الْمُرَادُ: هو-أي المؤمن في قبره-فِي تَمَامِ طَيِّبِ الْعَيْشِ فينام طيب العيش.

٣- أو لأن الإنسان أعزُّ ما يكون في أهلِه وذويه، وأرغد وأنعم وهو في ليلة الإعراسِ، ويُحبُّه ويُعزِّزُه أقاربُه وأحبَّاؤُه في ذلك الوقت (٣٩)، وفي أمثالهم: (كاد العَرُوسُ أن يكون مَلِكًا) (٤٠).

يعني: يقال لذلك الشخص: نَمْ في القبر على أحسنِ حالٍ وأطيبِ عيشٍ؛ فإنه لا رجوعَ من القبر إلى الدنيا (٤١)، وهو يتوافق مع قول الملائكة له: "اسْكُنْ"، وقولهم: "نَمْ صَالِحًا"، والله أعلم بالصواب.

قُلْتُ: وَتَبَيَّنَ لي وجه آخر للشبه وهو: إنَّ فتنة -امتحان-القبر عبارة عن أسئلة هي ملخص سيرة المؤمن في حياته الدنيا، وهو الامتحان الأخير الذي يمرُّ به العبد في قبره كما علمت من النصوص المذكورة أعلاه، وهو الامتحان الوحيد الذي أسئلته معلومةٌ، وأجوبته معلومةٌ، ولا يوجد فيه دور ثان، ولا شفاعة، ولا مساعدة ولا فرصة أخرى لإعادته مجدَّدًا، فمن لم يجب عن أحد هذه الأسئلة لم يجب عنها كلِّها، فأحدها متعلق بالآخر، ومتوقف عليه.

فيسألُ العبدُ هنا في هذا المكان عن ربِّه ودينه ونبيِّه، فالأسئلة هنا مقصودة، فمن اتَّخذ الله في الدنيا إلهًا ومشرعًا، قال: اللهُ ربي، ومن اتخذ الإسلام شريعة ومنهاجًا قال: الإسلام ديني. ومن اتخذ سيدنا محمدًا نبيًّا وإمامًا وقائدًا قال: وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم.

فالأسئلة لا تعتمد على الحفظ، وإنما تعتمد على السِّيرة والواقع الذي كان عليه المُمتحنُ في الحياة الدنيا، ولو كانت القضية قضية حفظ لأجاب كلُّ واحد عنها سواء كان كافرًا أو منافقًا أو فاسقًا أو مؤمنًا من غير عناء وجهد، ولكن الامتحانُ هنا يستغرق الحياة كلَّها، ولذلك خُتِمت أسئلةُ القبر بقول الملائكة للمؤمن: "ما عملك؟"، وفي لفظ: "مَا يُدْرِيكَ؟" "أي كيف ترجمت هذا الأجوبة في الواقع، ففي حديث البراء بن عازب: "... فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا

---

(٣٩) ينظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٥٩٤)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١١)، تحفة الأحوذي (٤/ ١٥٦)، المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٢٧)، شرح المصابيح لابن الملك (١/ ١٣٨).

(٤٠) ينظر: العين (٥/ ٣٨٠)، الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٧٤).

(٤١) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٢٧).

الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ"(٤٢).

من أجل ذلك تقول الملائكة لمن يجيب عنها: (فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا)؟

وفي رواية: (فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ (٤٣). وكذا يقال هذا للعبد الكافر أو الفاجر بعد توبيخه وزَجْرِه.

ولا يخفى على ذي لُبٍّ أنَّ جواب منادي السماء: "أَنْ صَدَقَ عَبْدِي..." (٤٤)، فيه معنى دقيق فلم يقل كلمة أخرى، مثل: أصاب الحق، أو إجابتُهُ صحيحة وغيرها من العبارات المتبادرة لأذهاننا من أول وهلة.

فالصدق هنا ترجمة الواقع، فالسَّائل يعرف صدق المَسؤول كما عَرفتَ فيُصدِّق قوله كما أن سيدنا جبريل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الإسلام والإيمان والإحسان المشهور فيقول له: صدقت، فيتعجب السَّامع كيف يسأل وكيف يصدقه، ولكن يزول هذا العجب عندما علِم الصحابة أن السائل هو جبريل عليه السلام، فهو يعلم السؤال والجواب معًا، من أجل ذلك يُصدِّق على الجواب، وكذا هنا الجواب بالتصديق من منادي السماء، والله أعلم بالصواب.

والألمعيُّ يتذوق لفظة العبودية، ويعرف معناها ومغزاها، فقوله جل جلاله: "عَبْدِي" ونسبته لذاته العلية مقامٌ ورفعةٌ ما بعدها رفعةٌ ومقامٌ.

إذن أسئلة القبر مُلَخَّص حياة المؤمن الممتحن في قبره وسيرته وتاريخه.

وهنا وجه الشبه بـ(نومة العروس)؛ فالمرأة في ليلة عرسها تفتن وتمتحن بعفَّتها وطهارة ثوبها لإثبات عذريتها أمام زوجها في هذه الليلة، وهذه الليلة بالنسبة لها ليلة امتحان واختبار، فهي ليلةٌ تختصر فيها حياتها السالفة، فهي تلخص طهارتها وعفتها، فإنْ أثبتت ذلك نجحت في الاختبار والامتحان، وفازت بالمحبة والرِّضا.

---

(٤٢) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤).

(٤٣) ينظر: صحيح ابن حبان -محققًا (٧/ ٣٨١)، وفي رواية أحمد: "يَقُولُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ"؛ مسند أحمد، ط الرسالة (٤٤/ ٥٣٥) (٢٦٩٧٦).

(٤٤) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤).

فكلاهما- أي فتنة القبر وإثبات العفة- رهبة، وكلاهما امتحان، فالمرأة في هذا اليوم وهذه الليلة إن نجحت في امتحانها فازت بمحبة زوجها وقربه وعاطفته وحنانه، وذاقت من عسيلته وذاق من عسيلتها، وكذلك المؤمن إن أجاب عن الأسئلة الثلاثة الأولى ورابعها العملي فاز بمحبة الله وقربه، وأثنت عليه الملائكة، فيأتيه الجواب من السماء: "أَنْ صَدَقَ عَبْدِي..." (٤٥).

وكما أن المؤمن في قبره يأتيه عملُهُ الصَّالح بهيئة رجلٍ حسن الثياب وحسن الوجه يبشره ويواسيه في هذا الموقف: "...قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي... (٤٦)، وكذلك المرأة تنعم بمن أفضت إليه وأفضى إليها في هذه الليلة السَّعيدة المفرحة بمن يكون معها فيواسيها ويعوِّضها عن بعدها عن أهلها وبمن عاشت معهم قبل هذا اليوم وهذه الليلة.

والمطَّلع على النص المذكور أعلاه يعلم أنَّ المؤمن إذا بُشِّرَ بالجنة ومقامه عند ربه يريد أنْ يرجعَ إلى أهلِه فيبشرهم بنتيجته وفوزه، وكذلك المرأة تريدُ ذلك لإثباتِ عِفَّتِها وطهارتِها؛ من هنا جرت العادة أن تُري المرأةُ أهلَ زوجِها برهان ذلك.

وهنا يأتي الجواب للمؤمن في قبره: "اسْكُنْ"، و"نَمْ صَالِحًا"، و"نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ"، فقد نَجَحْتَ، في الاختبار، وبَذَلْتَ الجهد، وذُقْتَ عسل الجنة وريحها وروحها، فاسكن في وجدك وافرح بمضجعك، ونَمْ صالحًا، ونَمْ نومة العروس.

وكما أنَّ الأوقات السعيدة تمضي سريعًا، فكذلك سيمضي عليك القبر سريعًا، قال الله تعالى عن مدة الدنيا كلها عندما يبعث المؤمن إلى جنةِ ربِّه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، فهذا القبر سيمرُّ عليك سريعًا، وستقوم وستنفض التراب من جسدك، وتذهب إلى مستقرك في جنة الخلد الذي علمته وعرفته، وذلك مصداق قول الله

---

(٤٥) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤).

(٤٦) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤).

تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، فهم عرفوها في قبرهم ورأوها ببصرهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، فهنيئًا لكم هذا المقام وهذا العيش الرغيد المطمئن، فالسَّاعة موعدكم، ومن يوقظكم من هذه النومة هو أحب الناس إليكم، فكما أنَّ العروس يوقظها زوجُها وهو أحبُّ أهلها إليها بعد نومة نعمت بلقاء محبوبها، فكذا ستوقظون بقيام السَّاعة والإيقاظُ هنا لا إيقاظ فَزَعٍ، وإنما إيقاظُ الحبيب لحبيبه.

وإذا كانت النَّومة للعروس في هذه الليلة نومةً رغيدةً، فكذلك الحال للمؤمن بعد امتحانه ونجاحه كانت نومته كما وصفت بالنص: "أَحْلَى نَوْمَةٍ"، و"أَلَذَّ نَوْمَةٍ".

وهناك شبهٌ واضح بيوم العرس أيضًا، فالموت بالنسبة للمؤمن يوم عرسه، فهو يوم اللقاء بالمحبوب؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ،...» (٤٧).

والمتابع لتفاصيل حديث البراء بن عازب وغيره من الصحابة الكرام يعلم ذلك يقينًا، فثياب العرس هي ثياب الجنة وحنوطها، والعروس يُزَفُّ، فكذلك المؤمن يُزَفُّ في السماوات السبع سماء بعد سماء: "فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا"، وتخرج منه أطيب ريح فيُعطر ويطيب...ثم العروس يفرش له أفضل وأنعم الحلل في بيت عرسه وكذلك المؤمن في قبره: "... فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ". قَالَ: "فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ... "(٤٨).

وعليه فالقبر للمؤمن روضةٌ من رياض الجنة، وقد صدق المعصوم صلى الله عليه وسلم إذ قال: "إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ"(٤٩)؛ فهو يوم عزٍّ وكرامة

---

(٤٧) صحيح البخاري (٨/ ١٠٦) (٦٥٠٧)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥) (٢٦٨٤).

(٤٨) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤).

(٤٩) سنن الترمذي، ت بشار (٤/ ٢٢٠) (٢٤٦٠).

ونفخارٍ، فهو كالملك في قومه يوم تتويجه بملكه، وقد صدق من قال: (كاد العَرُوسُ أن يكون مَلِكًا).

وهذا هو حال المؤمنين يوم القيامة يمضي عليهم سريعًا في عزٍّ ورفعة وكرامة؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا" (٥٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ» (٥١).

نسأل الله أن يَعْصِمَنا من فتنة القبر وعذابه، وأن يجعل نومَنا فيه كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ الناس إليه إلى يوم البعث، وأن يخفف عنا يوم القيامة فيجعله علينا بقدر صلاة مكتوبة، وأن يجعل مثوانا جنة الخلد في الفردوس الأعلى مع الصِّدِّيقين والشُّهداء والنَّبيين وحَسُن أولئك رفيقًا.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

---

(٥٠) مسند أحمد، ط الرسالة (١٨/ ٢٤٦) (١١٧١٧)، صحيح ابن حبان -مخرجًا (١٦/ ٣٢٨) - ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِتَفَضُّلِهِ يُهَوِّنُ طُولَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى لَا يُحِسُّوا مِنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، (٧٣٣٤). وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ عَلَى ضَعْفٍ فِي رَاوِيهِ؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٣٧).

(٥١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٥٨) (٢٨٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ إِنْ كَانَ سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ حَفِظَهُ عَلَى أَنَّهُ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ»، وقال الذهبي: على شرطهما.